بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

المؤتمر العام الرابع عشر

٢٢- ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ/ ٤- ٧ أيلول ٢٠٠٧م

لغة الحبّ في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب

عمّان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة

لغة الحبّ في القرآن الكريم

أ.د. أحمد مطلوب

(١)

الإسلام دين محبّة وسلام، وقد استظلّت به الشعوب، وعاشت في أمن ووئام، وكان الحبّ الذي دعا إليه القرآن الكريم قد طهّر القلوب لما فيه من عفّة ونقاء.

والحبّ غريزة تسمو فتجعل الإنسان سويّاً، وتهبط فتحرفه عن سواء السبيل، وقد دعت إليه الكتب السماوية، ومنها القرآن الكريم الذي حفل بالحب الطّاهر العفيف.

والحب شعور يحسّ به الإنسان فلا يستطيع له وصفاً، حاول بعض الباحثين تعريفه ووصفه فلم يستطيعوا أن يكشفوا عن كنهه، وأكثروا من القول "ولو شاء أحد المولعين بجمع الطرائف أن يحصر عدد التعاريف التي قدّمها الباحثون المختلفون لهذه الكلمة على مرّ العصور، لكان في وسْعِه أن يضع بين أيدينا متحفاً لغوياً عجيباً"[١].

لقد تعرّضت المعاجم العربيّة لشرح كلمة (الحب) وكل ما قالته إنه "نقيض البغض" وهو "الوِداد والمحبّة" وإن "المحبّة اسم للحب"[٢].

وليس في هذا التعريف ما يحدد معنى الحب، ولعلّ الذين أَلّفوا كتباً في الحب أكثر إدراكاً لمعنى هذه العاطفة، قال أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني (-٢٩٧هـ): "زعم بعض المتفلسفين أنَّ الله – جل ثناؤه – خلق كلَّ روح مدوّرة الشكل على هيئة الكرة، ثم قطعها – أيضاً – فجعل في كل جَسَدٍ نصفاً، وكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قُطع من النصف الذي معه، كان بينهما عِشْقٌ للمناسبة القديمة، وتتفاوت أحوال الناس في ذلك على حسب رقّة طباعهم"[٣].

(١) مشكلة الحب، ص١٣.

(٢) لسان العرب (حبب).

(٣) كتاب الزهرة، ج١، ص١٥.

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (– ٤٥٦هـ): "وقد اختلف الناس في ماهيته، وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع لا على ما حكاه محمد بن داود – رحمه الله – عن بعض أهل الفلسفة: الأرواح أُكر مقسومة، ولكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العُلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها"[١].

وذكر أبو بكر محيي الدين السلطي (– ق ١١هـ) أنّه قيل: "الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المستلزم عادة، فإنْ تأكد وقويَ سُمّي عِشْقاً"[٢].

ومهما قيل في تعريف الحب فإنه "يُحَس ولا يُوصف، ويُعْرَف ولا يُعَرَّف"، يقول محيي الدين بن عربي: "مَنْ حَدَّ الحب ما عَرَّفه، ومَنْ لم يذقه شُرْباً ما عَرَفَه، ومَنْ قال رويت منه ما عَرَفه، فالحب شراب بلا ريّ"[٣].

والحب الصادق حلٌّ لكثير من المشاكل؛ لأن الذي يملأ الله قلبه به يسلك سلوكاً حسناً، وينظر إلى الحياة نظرة تفاؤل وأمل، ولذلك عُني الإنسان منذ القديم بالبحث في الحب والدّعوة إليه لتطهير النفوس، قال ابن حزم في الكلام على ماهيّة الحب: "الحب – أعزّك الله – أوّله هَزْلٌ وآخره جِدٌّ، دقت معانيه لجلالتها من أن تُوصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله – عزّ وجلّ –"[٤].

واهتم المعاصرون بدراسة الحب، وعدَّه الدكتور زكريا إبراهيم مشكلة، يقول: "كيف لا يكون الحب مشكلة، ونحن نرى الإنسانَ يتحدَّى الإنسانَ، ويصطنع في تعامله مع إخوته في الإنسانية شتى أساليب الصراع؟ إنَّ نظرة واحدة يُلقيها المرء من شرفته على عابري الطريق لهي الكفيلة بأن تظهره على التنوّع

(١) طوق الحمامة في الألفة والآلاف (رسائل ابن حزم الأندلسي) ج١، ص٩٣.

(٢) صبابة المعاني، ص١٠٧.

(٣) الحب في القرآن، ص٤٩.

(٤) طوق الحمامة، ص٩٠.

العجيب الذي تتسم به العلاقات الإنسانية، فالإنسان يتجافى عن أخيه الإنسان، ويتجاهل رِفاقه في الطريق. والإنسان يحب الإنسان، ويشعر بقشعريرة الغِبطة حين يُقرّب أخاه الإنسان، والإنسان يبغض –أيضاً– رفيقه، ويتفنن في ابتداع شتى الوسائل لإيذائه أو تحديه أو القضاء عليه. وأعجب من هذا كله أنَّ الإنسان – أيضاً – قد يُحب ويكره في آنٍ واحد"[1]. وذكر للحب لغات هي: اللغة الشعرية، واللغة الأخلاقية، واللغة البيولوجية، واللغة الاجتماعية، واللغة الصوفية. وكل لغة من هذه اللغات تُعنى بجانب من الحب، فاللغة الشعرية تربط الحب بالجمال، واللغة الأخلاقية تُعنى بالوعظ والإرشاد، واللغة البيولوجية تتحدّث عن وظائف الغدد والإفرازات، واللغة الاجتماعية تُعنى بالسلوك الاجتماعي، واللغة الصوفية تتكلّم على التحرّر من أسْرِ الشخصية من أجل الاندماج في حقيقة عليا تستوعب كل الموجودات[2].

هذا ما قرره الباحثون – ومنهم – زكريا إبراهيم – عن لغات الحب، فما لغةُ الحب في القرآن الكريم؟

(٢)

القرآن يقوم على الحب في أوامره ونواهيه، وتشريعاته وأقاصيصه، ودعوته إلى الخير، والأُلفة والمحبّة، وهو دستور يتخذه الإنسان إماماً ومرشداً، ليحيا حياة حرّة كريمة لا يشوبها الحقد، ويمزقها البغض، وتعبث بها الأهواء. ومن هذه المعاني جاء خطاب القرآن اللغوي في الحب، ويتجلّى ذلك في "حب الله للإنسان، وحب الإنسان لله، وحب الإنسان لأخيه"[3].

١- **حب الله للإنسان:** وهو "أعلى مراتب الحب في الوجود؛ لأن الله –تعالى– عظيم الحب لعباده"[4]، إذ هو يريد لهم الخير والإيمان الذي يجعلهم يحيون حياة آمنة مطمئنة: ﴿ **وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ**

(١) مشكلة الحب، ص٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق، ص٥٨.

(٤) الحب عند العرب، ص٥٨.

إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات: ٧)، و ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣١) و﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ (طه: ٣٩) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥) . ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، ﴿ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ٧٦)، ﴿ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، ﴿ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، ﴿ يُحِب ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢)، ﴿يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(التوبة: ١٠٨)، ﴿ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف: ٤) .

٢- **حب الإنسان لله:** وهو ما يسعى إليه المؤمن؛ لأنه يجد في حب الله راحة عظمى، وطمأنينة، وتجلّى هذا في مواقف المتصوفة -خاصة- إذ أحبوا الله للحب، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وذلك أن حب الله "تحلية وتخلية يوصلان إلى التجلية، تحلية المؤمن بالطاعة والقيام بتكاليف الله على خير وجه، وتخلية بها يتجرّد العابد للعبادة بالتخلي عن كل ما يشينه كمؤمن، وعن كل ما يشوب العلاقة بينه وبين ربّه، وبالتخلية والتحلية تكون التجلية والظهور والرعاية والعناية والصفاء"[١] .

٣- **حب الإنسان للإنسان:** وهذا الحب يجعل المجتمع متكافلاً ليس فيه حقد وبغضاء، ومن ذلك المعاملة الحسنة والإنفاق على المحتاجين: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران: ٩٢) .

وفي القرآن الكريم معانٍ أخرى للحب تُعَبّر عن المعنى السلبي: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ (القيامة: ٢٠)، ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر: ٢٠) وهذا تبكيت؛ لأن الله سبحانه وتعالى ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠) ، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٥) ،

(١) الحب في القرآن، ص٢٦ .

﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٢)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٧) ، ﴿ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦)، ﴿ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٧) ، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة: ٦٤)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (المائدة: ٨٧)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤١)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٥٨)، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل: ٢٣)، ﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج: ٣٨) .

وحذّر – سبحانه وتعالى من حُب مَنْ لا يحبونهم ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: ١١٩)، ومن اتخاذ أندادٍ من دونه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة: ١٦٥)، ومِمن استحبَّ الكفر على الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة: ٢٣)، ومِمن استحب الحياة الدنيا على الآخرة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (النحل ١٠٧) ومِمن زَيَّنَ حب الشهوات من النساء والبنين: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: ١٤) . وقد يكون الحب سبيلاً إلى الحقد كما حدث ليوسف عليه السلام لأنه كان أحَبَّ إلى أبيه من إخوته فرموه في غيابة الجبّ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ (يوسف: ٨–٩) .

فالحب هو المحبة الخالصة التي ألقاها الله على نبيه الكريم موسى عليه السلام: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (طه: ٣٩) .

والمحبة: "وإنْ كانت كقول بعضهم محنة الإنسان الكامل، فهي منحة من المشمول بالشامل، والنظر في محل التدبر عظيم، والتفكير في معاني الذوق السليم موجب التسليم"[١] . وأصلها الصفاء "لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان (حَبَب) الأسنان . وقيل: هي مأخوذة من (الحُباب) -بالضم- وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد ، فعلى هذا تكون المحبة هي غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب . وقيل: هي مشتقة من اللزوم والثبات، ومن: أحبَّ البعيرُ إذا برك فلم يقم . . . فكأنَّ المحب قد لزم قلبه محبوبه فلم يَرُمْ عنه انتقالاً ولا تحويلاً"[٢] .

وليست هذه محبة الله كما قال السلطي، وهي عند ابن حزم ضروب، قال: "فأفضلها محبة المتحابين في الله – عز وجل – . . . ومحبة القرابة، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البِر يضعه المرء عند أخيه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لِسِرّ يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق"[٣] .

وتحدّث السلطي عن أسماء المحبة، وذكر ستاً وأربعين حالة تتصل بالمحبة، منها : العلاقة، والهوى، والغرام، والوجد ، والعشق، والشغف، والهيام، والتعبد ، والوله، والتدله . وبعض ما ذكر جاء في القرآن الكريم، ومن ذلك كلمة (الحب) التي كانت المحور الأساسي للغة الحب، ومما ورد فيه غير هذه الكلمة .

(١) صبابة المعاني، ص٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩٩ .

(٣) طوق الحمامة، ص٩٥ .

الأخ:

الأُخُوَّةُ هي التي تجمع الناس وتوحّدُ مواقفهم وأحاسيسهم، وقد عزز –سبحانه وتعالى– الأُخُوَّة وجعلها من أسباب الرابطة بين الناس وتأليف القلوب : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران: ١٠٣) . والمؤمنون إخوة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠)، والأخ هبة الله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٥٣) وهو عون لأخيه في الملمات وما يقع من أحداث، وجعل هارون وزيراً لأخيه موسى عليه السلام وشدَّ به عَضُدَه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ (الفرقان ٣٥)، و ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (القصص:٣٥) .

وتنبعث الطمأنينة في النفس حين يُخاطَبُ الإنسانُ بكلمة (الأخ)، فقد اطمأن أخو يوسف حين قال له يوسفُ: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَـِٔسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف: ٦٩) .

فالحب والمودة يرتبطان بالأُخُوَّة: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (الحجر: ٤٧) . أي في بعضهم لبعض .

وعبَّر القرآن عن المرسلين إلى الأقوام بكلمة الأخ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (الأعراف: ٦٥)، و ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ (الأعراف: ٧٣) و ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (الأعراف: ٨٥) . وهذا مما يلين القلوب .

واستعمل سبحانه وتعالى كلمة (الأَخ) للتحذير: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: ١٠٦) . ومثل هذا ما قاله هود وصالح ولوط : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: ١٢٤) و ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: ١٤٢) و ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: ١٦١) .

وجعل – سبحانه – الأُخُوَّة سبباً في الوفاق، ولما أراد أن ينفر الناس من التجسس والغيبة جاء بكلمة (الأَخ) ليشعر الإنسان بأُخُوَّته: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢) .

إنَّ ورود كلمة (الأَخ) في الخطاب تبعث في نفس السامع الحب والطمأنينة، ولذلك تكررت في القرآن الكريم في المواقف المختلفة لما لها من وقع كبير .

الاستكانة:

هي من "لوازم الحب وأحكامه"[١] وأصلها الخضوع، وهي مرحلة من مراحل الحب إذ يستكين المحب لمحبوبه، وقد نهى الله تعالى عن الاستكانة تلميحاً فقال: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ (آل عمران: ١٤٦) .

والمحب الصادق لا يستكين ويخضع؛ لأنّ الحب ليس مذلّةً وهواناً، وإنما هو وِدٌّ ووئام، وتقدير وإخلاص .

الأُلفة:

هي الأُنس والمحبة، وهي من نِعَم الله الذي يُؤلّف بين الناس: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (آل عمران: ١٠٣) . فتأليف القلوب من الله – سبحانه – ولا يستطيع أحد أن يُؤلف بينها إن لم يُرد الله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٢– ٦٣) .

(١) صبابة المعاني، ص١٥٤ .

والأُلفة لا تكون بين الناس فحسب، وإنما يؤلف الله سبحانه وتعالى بين المخلوقات والكائنات ومظاهر الطبيعة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ (النور: ٤٣) .

والله يدعو إلى الأُلفة والمحبة لأن الإسلام دين محبة، ويتخذ القرآن غير كلمة (الأُلفة) للتعبير عن المحبة: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير: ٧) . ويربط بين الزوجين برباط المحبة: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ (البقرة: ٣٥)، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٩) أي: انزل الجنة أنت وزوجك[١]، ولم يقل: انزِل وحدك، لكي تبقى الأُلفة بين آدم وحواء .

وجاء الفعل (يسكن) ليدل على الاستئناس وهو الأُلفة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٩)، وهذه طمأنينة تبعث الأُلفة بين الزوجين وتشيع الاستئناس[٢] .

وعبَّر القرآن عن الأُلفة بأسلوب آخر فقال: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي سكن لهن[٣] .

وجعل سبحانه وتعالى السكينة مما يألف الأزواج بها: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم: ٢١) .

الأمومة:

لم يذكرها القرآن بهذه الكلمة، وإن ذكر كلمة (الأُم)، والله سبحانه يؤكد عاطفة الأمومة بأسلوب القصة، ومنها ما أحست به امرأة عزيز مصر حين رأت يوسف: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن

(١) ينظر الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ص٣١٩، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص٢٦٢، وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص٢٤٢ .

(٢) تنظر المصادر السابقة المذكورة في رقم (١) .

(٣) تنظر المصادر السابقة.

مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ (يوسف: ٢١) وتحركت أمومة امرأة العزيز عند سماعها "ولدا" إذ يبدو أنها كانت عاقراً، وأنه كان صغيراً قبل أن يتفجّر صباه فتراوده، وتصبح الأمومة شهوة حمراء .

وتتجلى الأمومة في أُم موسى بعد أن ألقته في اليم وأصبح فؤادها فارغاً، وقالت لأخته "قُصّيهِ" وسُرَّت حين عاد إليها: ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ ﴾ (القصص: ١٣) . وسُرَّت به امرأةُ فرعون وحَنَّتْ عليه: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ (القصص: ٩) .

وأقرَّ سبحانه وتعالى الأُمومة حين ألزم الأم بإرضاع وليدها لا لتقيم أَوَدَه فحسب، وإنما لترضي أمومتها، وليحسّ الوليد من ساعة مولده بعطف الأم وحنانها، قال تعالى ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾(البقرة: ٢٣٣) وهذا ليس إخباراً وإنما هو أمر؛ لأن من المعروف أن الأُم تُرضع وليدها، وتأكيد معنى الأمومة هو الذي أخرج الخبر إلى الأمر .

الجنون:

من الحب ما يكون جنوناً، والمجنون مَنْ فَقَدَ عقله وتصرَّف من غير إدراك ووعي تصرّفاً لا يليق بالإنسان السويّ. وقد وردت كلمة (المجنون) في القرآن لتدل على هذا المعنى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ (الحجر: ٦)، وجاءت في نفي الجنون عن النبي الكريم: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ (التكوير: ٢٢) .

وقد انتهى بعض الناس ومنهم الشعراء إلى الجنون لشدة حبهم؛ لأن "الحب المفرط يستر العقل، فلا يعقل المحب ما ينفعه ويضره، فهو شعبة من الجنون"[١] .

(١) صبابة المعاني، ص١٥٩ .

الحزن:

هو في الأصل من علامات الحب، ولم يعدّه السلطي من أسماء المحبة، وإنما "هو حالة تحدث للمحب، وهي ورود المكروه عليه، وهو خلاف المسرَّة، ولما كان الحب لا يخلو من ورود ما لا يَسُرُّ على قلب المحبّ، فكان الحزن من لوازمه"[1] .

وللحزن أسباب كثيرة منها: احتلال الوطن وتدميره، وسيطرة الدخلاء على مقاليد الحكم، وموت العزيز، وفراق الأهل، وجفاء الحبيب، وغيرها مما يعرض للإنسان، كما عرض لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو في الغار يوم الهجرة، إذ قال له الله سبحانه وتعالى على لسان النبي محمد ﷺ: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠) .

وكان حزن النبي يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف شديداً: ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف: ٨٤) . ونادى الله مريم عليها السلام وقال: ﴿ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مريم: ٢٤) ، وقال للمؤمنين: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ (آل عمران: ١٣٩) . وأمر بأن لا يحزن الإنسان على ما فات: ﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡ ﴾ (آل عمران: ١٥٣) .

فدواعي الحزن كثيرة، وقد عَبَّر القرآن الكريم عن بعض دواعيه، ولم تكن تلك الدواعي متصلة بالمحبة اتصالاً مباشراً، ما عدا حزن يعقوب على يوسف الذي كان مرادفاً للحب الذي يكنه لفراق ولده الذي قال عنه إخوته قبل أن يلقوه في غيابة الجبّ: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف: ٨) .

(١) صبابة المعاني، ص١٥٠.

الحنان:

لون من العواطف المتصلة بالحب، وخصَّ القرآن الكريم هذه العاطفة النبيلة بالله سبحانه وتعالى- فهو الذي يحنو على عباده كما حنا على النبي يحيى – عليه السلام-: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: ١٢-١٣) . وهذا أعظم حنان يهبه الله لأحد أنبيائه، وهذا الحنان دعوة إلى أَنْ يملأ الإنسانُ قلبه حناناً يؤلف بين القلوب .

الخبال:

هو فقدان العقل، وقد يؤدي الحب العنيف إليه، ولذلك حذَّر القرآن من الأسباب التي تؤدي إليه، ومنها بطانة السوء: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٨) .

وحذَّر من المنافقين فقال: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ (التوبة: ٤٧) . والخبل من موجبات العشق، ولم يعدّه السلطي من أسماء الحب، وإنما دخل فيه "لاتصاف أهله به، وإن ذُكِرَ في أسمائه"[١] . ولكنه مرحلة من مراحل الحب، فهو الجنون بعينه، وكانت العرب تطلق كلمة (المجنون) وكلمة (المخبَّل) وهما بمعنى واحد .

الخلة

هي المصادقة والإخاء، ويقال إن: "الخُلَّة بين الآدميين مأخوذة من تخلل المودّة بين اللحم والعظم واختلاطهما بالمخ والدم"[٢]، ومنها الخليل لا يكون كذلك إلا إذا ملأ الحبُّ قلبه، وأخلص لصاحبه، وأرفع ذلك اتخاذ الله النبي إبراهيم عليه السلام خليلاً : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ

(١) صبابة المعاني، ص١٦٠ .

(٢) كتاب الزهرة، ج١، ص١٩ .

وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ (النساء: ١٢٥) . وذكر القرآن خليل السوء: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٢٨) .

وحذَّر سبحانه وتعالى من أخلاَّء السوء: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)، وما ذلك إلا لأن (الخُلَّة) هي الإخاء الصادق والحب الذي لا يرتبط بما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى .

الشغف:

هو شدة الحب حين يبلغ شغاف القلب أي غِلافه، وقد وصف الله سبحانه وتعالى امرأة عزيز مصر التي أحبت يوسف عليه السلام حباً ملك عليها نفسها، فقال: ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗا ﴾ (يوسف: ٣٠) .

ويقال: "شَغَفَه الحبُّ أي أحرق قلبه"، وجاءت مرتبته في مراحل الحب بعد اللوعة واللاعج[١] .

الصبابة:

يقال: صبا إليه أي حَنّ ومال إليه، وسُميت الصبابة صبابة لانصباب القلب على المحبوب[٢]، وصوَّرَ القرآن الكريم حالة يوسف عليه السلام بعد أن راودته امرأة العزيز عن نفسه: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣٣) . وقيل: إنَّ الصبابة تكون بعد التتيم الذي أوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب[٣] .

(١) ينظر فقه اللغة وسر العربية، ص١٦٨ .

(٢) ينظر الحب في القرآن، ص٢٥ .

(٣) ينظر المرجع السابق، ص٢٥ .

الطاعة:

تأتي الطاعة بأمر من الله سبحانه وتعالى وهي: "دليل وعلامة وأمارة على حبّ الله"[1] . وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تأمر بالطاعة: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، وهي في الأصل طاعة الله سبحانه وتعالى .

وتتولّد الطاعة لدى الإنسان من الحب الصادق، فيطيع الحبيب محبوبه، والولد أمه وأباه، والصديق صديقه، وهي – وإن لم تكن اسماً للحب– إلا أنها حالة تعتري المحب فيطيع حبيبه، والوصول إلى هذه الحالة قد يُعَدُّ مرحلة من مراحل الحب ومراتبه .

العبادة:

هي ذِرْوةُ الحبّ، والإنسان حين يخلص لربه في حبه يعبده، ويقول لربه: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥) . فالعبادة في الأصل لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى لأن أصلها –كما قال ابن قيّم الجوزية– "محبة الله بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله فلا يحب سواه، وإنما يحب لأجله وفيه"[2] .

ودأب بعضهم على استعمال كلمة (العبادة) للحبيب حين يصل المحب إلى مرحلة التذلل للمحبوب، لما في العبادة من طاعة وتذلّل واستكانة وخضوع .

العشرة:

هي المخالطة أو الصُّحبة التي تربط بين شخصين أو أكثر، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت حُباً عميقاً، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعِشْرَةِ التي تنبثق حباً من القلب، وحذَّر من الإساءة إلى

(١) الحب في القرآن، ص٢٦ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٣ .

الزوجات فقال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء: ١٩) استمراراً للألفة التي كانت بين الزوجين. وذم عشير السوء فقال: ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ (الحج: ١٣).

الغرام:

"هو الحب اللازم، يقال مُغْرَمٌ بالحب أي قد لزمه"[١]، ووردت الكلمة في القرآن الكريم بمعناها اللغوي أي اللزوم، قال سبحانه وتعالى ﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٥) أي هلاكاً ولزاماً لهم.

الفتون:

من مراحل الحب، ووردت الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الامتحان كقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥). وبمعنى الافتتان كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال: ٢٥)، وبمعنى الفتنة، كقوله تعالى ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (الأنفال: ٢٨).

وذكر هارون بن موسى أن الفتنة وردت في القرآن الكريم على عشرة وجوه: الشرك، والكفر، والبلاء، والعذاب في الدنيا، والحرق بالنار، والقتل، والصد، والضلالة، والمعذرة، والعبرة[٢]. وأضاف الدامغاني وجهاً آخر، وهو الجنون، كما في قوله تعالى: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ (القلم: ٥-٦) يعني: المجنون[٣]. وهذا الوجه يتصل بما يُصيب المحبين حين يصلون إلى مرحلة من الحب الذي يُفضي بهم إلى الجنون.

(١) صبابة المعاني، ص١٦٩.

(٢) ينظر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص٧٨.

(٣) ينظر إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص٣٤٩.

اللمم:

هو طرف من الجنون، ورجل ملموم أي به لَمَم، ويقال – أيضاً – أصابت فلاناً من الجنة لَمَّة وهي المسُّ، والشيء القليل، قال الجوهري في (الصحاح): وأصل اللفظة من المقاربة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ (النجم: ٣٢) . ثم قال السلطي: "فبالجملة، فلا يستبين كون (اللمم) من أسماء الحب، وإن كان قد ذكره جماعة، إلا أنْ يقال: إن المحبوبَ قد ألَمَّ بقلبٍ أي: نزَل به، ومنه: ألِمْ بنا، أي انزِل بنا"[1] .

النجوى:

هي المخاطبة بين اثنين أو أكثر، وهي من مظاهر الحب، واستعملها القرآن الكريم بمعنى الخطاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾ (الزخرف: ٨٠) . ونهى سبحانه وتعالى عن المناجاة بالإثم والعُدْوان فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (المجادلة: ٨) ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة ٩–١٠) .

ووردت النجوى بمعنى المخاطبة، قال تعالى: ﴿ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ (المجادلة: ١٢) . وقال: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾ (المجادلة: ١٣) . ومعنى المناجاة هنا الحديث سراً، وبذلك تكون (النجوى) قد وردت في القرآن الكريم

(١) صبابة المعاني، ص١٥٩.

بمعنيين: النهي عن المناجاة بالإثم والعدوان، والكلام سراً، وهذا المعنى يتصل بالحب، لأن المناجاة بين الحبيبين لا تكون إلاّ بعد أن يتوثق الحبُّ في قلبيهما، وتكون النجوى اسماً للحب.

الهوى:

هي أكثر كلمات الحب التي يشيع استعمالها للتعبير عنه، والهوى "أول مراتب الحب"[1]، وقد حذَّر الله سبحانه وتعالى من الحب الذي يودي بصاحبه ويبعده عن سواء السبيل، قال: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ (النساء: ١٣٥)، ولا يبعد معنى الهوى الذي حَذَّرَ الله منه، عن الهوى الذي يأخذ بلب الإنسان فلا يدري ما يقول، ومثله الذي يتبع الهوى فيضل ضلالاً بعيداً: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص: ٢٦). ونهى سبحانه وتعالى النفس عن الهوى أي ما تشتهي، أي نهاها عما تهواه من الشهوة[2].

ومنهم من يتخذ الهوى إلها: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ (الفرقان: ٤٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

الهيام:

هو شدة الحب، "وأن يذهب المحب على وجهه لغلبة الهوى عليه، ومنه: رجل هائم، أي: لا يقر له قرار"[3]. وقد وصف الله سبحانه وتعالى الشعراء بهذه الكلمة فقال: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (الشعراء ٢٢٤-٢٢٥).

(١) فقه اللغة وسر العربية، ص١٦٨.

(٢) ينظر الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ص٣٢٦.

(٣) صبابة المعاني، ص١٧١.

الود:

هو "خالص الحب وألطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة"[1] . وأكَّد القرآن المودَّة بين الناس لأنها من أسباب الأُلفة والتعايش، وجاءت المودَّة فيه بمعنى المحبة، والنصيحة، والصلة، والمودة في الدين[2] .وجاء (الودّ) للخير كقوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة: ٩٦)، ولغير الخير ، كقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (البقرة: ١٠٩) .

ودعا سبحانه إلى المودَّة بين الناس: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ (الممتحنة: ٧) .

والودُّ من صفات الله عز وجل فهو الرحيم الودود: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾(هود: ٩٠) . وهو الغفور الودود: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ (البروج: ١٤) .

الوصب:

هو "ألَمُ الحب ومرضه، فإنَّ أصل الوَصَب المرض"[3] وسُمّي الحب وَصَباً لدوامه، قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ (الصافات: ٩) أي دائم، وقال: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ (النحل: ٥٢) أي الطاعة الدائمة.

(١) صبابة المعاني، ص١٦٢.

(٢) ينظر الأشباه والنظائر ، ص٣٠٩، والوجوه والنظائر، ص٣٤٦، وإصلاح الوجوه والنظائر ، ص٤٨٣ .

(٣) صبابة المعاني ، ص١٤٩ .

(٣)

هذه هي الألفاظ الدالة على الحب في القرآن الكريم، وقد يذهب الظن إلى أنها بمعنى واحد، وهذا صحيح؛ لأنها تعبّر عن الحب، ولكنَّ دلالة كل كلمة تختلف عن دلالة الكلمة الأخرى، لأنها تعبّر عن مرحلة من مراحل الحب، فالهوى غير الغرام، والشغف غير الهيام. وقد لفتت هذه المسألة نظر اللغويين العرب، ووضعوا ألفاظ الحب في سلسلة، كل سلسلة تُفضي إلى ما بعدها. قال عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (– ٤٣٠هـ): "أول مراتب الحب الهوى، ثم العلاقة – وهو الحب اللازم للقلب – ثم الكلف – وهو شدة الحب – ثم العشق – وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب – ثم الشغف – وهو إحراق الحب القلب مع لذّة يجدها – وكذلك اللوعة واللاعج، فإن تلك حرقة الهوى وهذا هو الحب المحرق[١] . . . ثم الجوى – وهو الهوى الباطن –ثم التيم– وهو أن يستعبده الحب، ومنه سُمي (تيم الله) أي: عبد الله، ومنه رجل متيم، ثم التبل– وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل مَتْبول، ثم التدليه – وهو ذهاب العقل من الهوى، ومنه رجل مُدلَّه، ثم الهيوم – وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه، ومنه رجل هائم"[٢].

وقال ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد الحراني (–٧٢٨هـ): "إن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو (التتيم)، وأوله العلاقة لتعلّق القلب بالمحبوب، ثم الصَّبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم"[٣].

(١) جاء بعدها: "ثم الشغف وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلده".

(٢) فقه اللغة وسر العربية، ص١٦٨– ١٦٩.

(٣) الحب في القرآن، ص٢٥.

فالحب مراحل، أو مراتب، وكل كلمة من كلمات الحب، تعبر عن مرحلة أو مرتبة، ولذلك فهي ليست مرادفة لكلمة (الحب) وإن كانت تنتهي إليه .

لقد استمدت لغة الحب في القرآن قدسيتها من الله سبحانه وتعالى ولذلك لم ترد ألفاظ تدل على الحب الّذي لا يقرّه الله، ومن ذلك كلمة (العشق) وهو عُجْبُ المحب بمحبوبه أو إفراط الحب، ويكون في عفاف وفي دعارة، أو عمى الحس عن إدراك عيوبه، أو مرض وسواسي يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور"[1] . فالعشق إفراط في الحب يودي بصاحبه إلى الجنون . وقد خلا القرآن الكريم من هذه الكلمة في حين وردت فيه ألفاظ تدل على الحب دلالة روحية، وليس مستنكراً أن يوصف الله بالودود من كلمة (الودّ) في حين اختلف الناس في إطلاق (العشق) في حق الله، فقالت طائفة من الصوفية: "لا بأس بإطلاقه" ومنعه غيرهم . قال السلطي: "وقال الجمهور لا يطلق ذلك في حقه سبحانه وتعالى وهو المعتمد ، فلا يقال: إنه يعشَقُ، ولا يقال: عَشِقَه عبده، وسبب منعه ثلاثة أقوال:

الأوّل: عدم التوقيف، بخلاف المحبة .

الثاني: إن العشق إفراط المحبّة، ولا يمكن ذلك في حق الله سبحانه وتعالى فإنَّ المولى لا يوصف بالإفراط في الشيء ، ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه، فضلاً عن أنْ يقال: أفرط في حبه .

الثالث: أنه مأخوذ من التغير كما يقال للشجرة المذكورة (عَشَقَة) [2]، فلا يجوز إطلاقه على الله سبحانه وتعالى"[3] .

(١) القاموس المحيط (عشق) وينظر صبابة المعاني، ص٥١ .

(٢) هي شجرة اللبلاب، قال ابن الأعرابي: "العشقة اللبلابة" ينظر صبابة المعاني، ص٥٧ .

(٣) ينظر المرجع السابق، ص٥٧ .

وأراد الله أن يصف عشق امرأة عزيز مصر، ولكنه لم يستعمل كلمة (العشق) أو (العاشقة) وإنما قال: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ (يوسف: ٣٠)، وهي عبارة دلّت على العشق بغير لفظته المعروفة، وعبارة القرآن أكثر دلالة إذ وصل الحب إلى شغاف القلب وازداد اضطراباً .

(٤)

كيف ينشأ الحب؟ وما دواعيه؟

ذكر القرآن الكريم كثيراً من الأسباب التي تُوصل إلى مرتبة الحب، والله سبحانه وتعالى هو الذي يملأ القلوب حباً فتشرق أمناً ووئاماً، وهو الذي يطهّر القلوب، ويَهدي الناس إلى سبيل الخير، قال لنبيه محمد ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦) . وخاطب المسلمين فقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات: ٧، وتنظر الآية ١٧) .

فالله سبحانه وتعالى هو الذي يملأ القلوب حباً، وينزع الغِلَّ من صدور المؤمنين، ويهديهم إلى سواء السبيل: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٤٣) .

فالله سبحانه وتعالى يهدي إلى الحبّ ويُطهر القلوب، وفي القرآن الكريم ألفاظ يمكن أن تعد من دواعي الحب وهي:

الإحسان:

له دور في كسب مَوَدَّة الآخرين، والمحسِنْ يُجزى بمثل ما أحسن: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠) . ومما يزيد محبة الوالدين لابنهم إحسانه إليهما: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(البقرة:٨٣)، وتنظر النساء (٣٦)، والأنعام (١٥١)، والإسراء (٢٣) ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأحقاف: ١٥) .

والله سبحانه يُحب المحسنين والمحسنات اللاتي أعدّ لهن أجراً عظيماً (البقرة ١٩٥، والمائدة ١٣، والأحزاب ٢٩) .

الإعجاب:

يُعجب الإنسان بأشياء كثيرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنَّ الإعجاب من أمر الله: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (هود: ٧٣) . ومن الكثرة: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ (التوبة: ٢٥) . ومن الأجسام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ (المنافقون:٤) . ومن القول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (البقرة:٢٠٤) .

وقد يكون إظهار الإعجاب الذي يدل على المحبة من غير ذكر كلمة (الإعجاب)، ومن ذلك ما ألمحت إليه ابنة شُعيب حين أُعجبت بموسى عليه السلام إذ قالت لأبيها : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص:٢٦) . وما كان لها أن تقول ذلك لولا إعجابها بموسى، وإعجاب أبيها به .

الإنفاق:

هو مما يُقرِّبُ الإنسان إلى الآخرين ويزرع في قلوبهم المحبة بأمر الله، الذي أكرم مَنْ ينفق الأموال في سبيله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة: ٢٦٢) .

ولا يصيب الإنفاق الله سبحانه وتعالى وإنما يفيد مَنْ أنفق: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡ ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، ولن يكون ذلك الإنفاق خيراً حتى يكون مما يُحب الإنسان: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران: ٩٢).

الإيمان:

جاء الإيمان في القرآن الكريم على أربعة وجوه: الإقرار باللسان من غير تصديق، والتصديق في السر والعلانية، والتوحيد، والإيمان في شرك[١].

والإيمان يُكسب حُبَّ الله، لأنه من أصل الإسلام وهو الإيمان بالله ورسله وكتبه، ويكسب حبَّ الناس، وهو اسمى ما يسعى إليه الإنسان: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ (المائدة: ٥)، وقد زَيَّنه الله للإنسان: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ (الحجرات: ٧).

فالإيمان من أسمى قيم الإنسان، ولن يجد حلاوته إلا إذا "أحسَّ حرارة الحب"[٢]، لأن "أساسه الحب، وكماله الحب، وأوثق عُراه الحب"[٣].

البِرّ:

هو الصلة، والطاعة والتقوى والشفقة[٤]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (البقرة: ٤٤)، ومنع المناجاة بغير البِر والتقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

(١) ينظر الأشباه والنظائر، ص١٣٧، والوجوه والنظائر، ص١٢٥، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص٤٧.

(٢) الحب في القرآن، ص٩.

(٣) الحب في القرآن، ص١٢.

(٤) ينظر الأشباه والنظائر ص، ٣٩٠، والوجوه والنظائر، ص٣٤٨، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص٦٧.

إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (المجادلة:٩) .

التعارف:

أمر الله به فقال: ﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ (الحجرات:١٣)، وقال: ﴿ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ (يونس:٤٥) .

فالتعارف بين الناس من دواعي المحبة، فضلاً عن أنَّ الأرواح تتعارف فتأتلف، وتتناكر فتختلف، قال النبي محمد ﷺ: "الأرواح جنودٌ مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" .

التعاون:

وهو ما تُبنى عليه المجتمعات وتبلغ أهدافها في الحياة الآمنة المطمئنة؛ لأنه من أسباب الأُلفة والمحبة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (المائدة:٢) .

الجزاء:

يكون مكافأة لمن عمل خيراً أو قدَّم خدمة للآخرين، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ (الرحمن:٦٠)، وإنَّ من آمن وعمل صالحاً ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الكهف:٨٨)، ولا يكون جزاء الحسنى إلا للصالحين، أما المسيئون فجزاؤهم السيئة: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى:٤٠) .

الخُلُق:

الخُلُقُ الحسن من أسباب الأُلفة والمحبة والاحترام، وقد مدح الله سبحانه وتعالى نبيَّه محمداً ﷺ فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤) .

الخير:

يُقرِّب عمل الخير بين الناس ويربط بينهم برباط الأخوَّة والمحبة، ووعد الله سبحانه وتعالى مَنْ يقدم الخير لنفسه بأن يجده عنده: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:١١٠) . وأمر بالإسراع في الخيرات: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (المائدة:٤٨)، وأوحى بفعل الخيرات: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (الأنبياء:٧٣) .

الرأفة:

من موجبات الحب، وقد جعلها الله سبحانه وتعالى في القلوب، وهو الرؤوف بعباده: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:٣٠)، و ﴿ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر : ١٠) .

الرحمة:

أمر الله سبحانه وتعالى بالرحمة لتسود المحبّة بين الناس، وتتوحّد كلمتهم، ورحمته ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف:٥٦)، و ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٦٤) وهو الرحمن الرحيم.

وللرحمة عدة وجوه في القرآن الكريم[1]، منها المودّة والرأفة: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد :٢٧) .

الرضوان:

وهو رِضْوان الله سبحانه وتعالى ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ ﴾ (التوبة:٢١)، ورضى الناس يدفع إلى المحبة والعلاقة الحسنة .

(١) ينظر الوجوه والنظائر ، ص٥، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص٢٠١ .

الشكر:

وهو شكر النعمة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، والله سبحانه وتعالى غفور شكور.

الصحبة:

أروع مثال لها صُحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي محمد ﷺ: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠). وأمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن يصاحب والديه بالمعروف ليكسب حبهما: ﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ (لقمان: ١٥)، وأوصى برعاية الصاحب بالجنب فقال: ﴿ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (النساء: ٣٦).

الصدق:

هو الذي يُولِّد الثقة بين الناس ويُشيع المحبة والاحترام، وقد حثَّ الله سبحانه وتعالى على الصدق، وهو خير الصادقين: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ ﴾ (الزمر: ٧٤)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩).

الصدقة:

هي التي تُطَهِّر القلوب وتجذب بعضها إلى بعض: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣)، وهي: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (التوبة: ٦٠)، وهكذا يُعطي الله الصدقات مجالاً واسعاً لينتفع بها كثير من الناس.

الصفح:

وهو كثيراً ما يؤلّف بين الناس، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالصفح لتصفو القلوب، فقال: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (المائدة:١٣) .

الصلح:

أمر الله سبحانه وتعالى بالصلح لتصفو القلوب وتعود الأُلفة والمحبة إليها، فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ (الحجرات:٩)، وأكده فقال: ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ (النساء:١٢٨) .

العدل:

العدل أساس الملك والثقة بين الناس، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به فقال: ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ (المائدة:٨) وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠) .

العفو:

هو من أسباب إعادة الثقة وعودة القلوب إلى الأُلفة والمحبة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به فقال: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (النور:٢٢) .

الغفران:

وهو من الله سبحانه وتعالى فهو يغفر الذنوب، وقد أمر به فقال: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المزمل:٢٠) ودعا إلى المغفرة فقال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣) . ويكون لمن يغفر للآخرين

مكان في قلوب المحبين، لأنّ المغفرة تطهّر القلوب، وتُذهب ما فيها من غِل وحقد، بسبب ما اقترف الناس من خطايا وأعمال تضرّ الناس.

الفضل:

هو من عند الله سبحانه وتعالى ويعني في القرآن الكريم الإسلام، والنبوة، والرزق، والمنّ[1]، والفضل بيد الله فهو: ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران:٧٣)، وهو الذي يؤتي: ﴿ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ (هود:٣)، وهو: ﴿ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد:٢٩)، ولولا فضله سبحانه وتعالى لكان الخلق من الخاسرين: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (البقرة: ٦٤).

القربى:

أكّدها الله سبحانه وتعالى لأنها من أسباب العلاقات المتينة بين الناس، وأوصى بذي القربى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ (البقرة:٨٣) وحثَّ على المودة في القربى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (الشورى:٢٣)، فصلة الرحم من أقوى الروابط الأسرية التي تولّد المحبة والوئام.

القنوت:

هو التزام الطاعة مع الخضوع، وحين يخضع المحب لحبيبه فكأنه دخل في مرحلة القنوت أي الطاعة والاستكانة، ولله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة:١١٦)، وقال سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران:٤٣).

(١) ينظر الأشباه والنظائر، ص١٤، والوجوه والنظائر، ص١٢٨، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص٣٦١.

وذكر هارون والدامغاني لكلمة (القانتين) وجهين[1]:

الأول: مقرون بالعبودية: ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة:١١٦) .

الثاني: مقرون بالطاعة: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (البقرة:٢٣٨) .

اللين:

وهو لون من العطف يُؤدي إلى الألفة والمودّة، قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وأوصى النبي موسى عليه السلام وأخاه هارون أن يقولا لفرعون قولاً ليّناً: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه:٤٤) .

المعاملة:

مما يؤلّف بين القلوب ويزرع الحب فيها حسن المعاملة، ودفع الشر بالكلمة الطيبة: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت:٣٤)، وأمر سبحانه وتعالى بحسن معاملة اليتامى والسائلين فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (الضحى:٩-١٠) . ففي هذا ميل القلوب إلى المحسن الذي لا يقهر اليتامى، ولا ينهر السائلين.

وربط الله تعالى المعاملة الحسنة بالسلوك الإنساني الذي يجعل الخَلْق إخوة متحابين.

المعروف:

هو الفرض والعِدَة الحسنة[2]، وقد أوصى سبحانه وتعالى باتباع المعروف: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة:١٧٨)، وربط المعروف بالخير: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ

(١) ينظر الوجوه والنظائر ص٦٢، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص٣٩١.

(٢) الأشباه والنظائر ص١١٤، والوجوه والنظائر ٩٤، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص٣٢٢.

يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (آل عمران:١٠٤) . وربط المعروف بالإمساك، وهو الصلة بين اثنين، فقال: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة:٢٢٩) .

النصرة:

هي مما يملأ القلوب مودَّةً وحباً ، ونعم النصير الذي يقف مع أخيه في الملمات، والله خير نصيرٍ للمؤمنين الذين ينصرون مَنْ يُعتدى عليهم، أما من ظلم أو كفر فلن يجد له نصيراً : ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى:٨) وأمر الله تعالى بالاعتصام به: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (الحج:٧٨) .

هذه بعض دواعي المحبة بين الناس، وقد جاءت في القرآن الكريم واضحة جلية، لأن الرسالة المحمدية دعوة إلى السلام والوئام، والله سبحانه وتعالى يأمر بالمحبة الصادقة ليسود الأمن ويرفرف السلام على الشعوب، وليس كالحب ما يُوحّد القلوب بعد هُدى الله الذي بيده كل شيء، وليس كدواعي المحبة وأسبابها ما يؤلف بين القلوب .

إن الإسلام دين محبة وسلام، والحب فيه "منهج له حدود وطريق ومعالم وقيود ومخطط تربوي إلهي سما بالعواطف، وهذَّب الأخلاقِ، وشذّب الغرائز، وقدَّم لكل نفس ما يعصمها من الجنوح، وما يمنعها من الزلل والانحراف، وما يأخذ بيدها حتى تصير نفساً وضاءة مشرقة، محبة ومحبوبة"[١] .

(٥)

وصفوة القول: إنَّ القرآن الكريم:

١ . دعا إلى المحبة والتعاون بين الناس ليحيوا حياة أمنٍ وسلام .

٢ . عَبَّر عن الحب بأسلوب مؤثر يملأ القلوب إيماناً .

(١) الحب في القرآن، ص١٦ .

٣. ذكر بعض ألفاظ الحب لما لها من تأثير في النفوس واستمالة القلوب إلى القيم الرفيعة، وكانت تلك الألفاظ تعبر عن المقاصد الإلهية، ولم يذكر غيرها مثل: الجوى، والوجد، واللذع، واللوعة، والعشق، والوله والتدليه لما فيها من دلالات حسية.

٤. أعطى ألفاظ الحب دلالات سامية.

٥. ذكر دواعي الحب التي توصل إليه، وتجعل الناس يحيون حياة هادئة لا تزعزعهم الخلافات ولا تمزقهم الأحقاد.

لقد عَبَّرت لغة الحب في القرآن الكريم عما أراد الله، سبحانه وتعالى أن يبينه للناس، ليسيروا على نهج كتابه الذي نزل ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويزرع الحب في قلوبهم، فلا غدر ولا خيانة، ولا ظلم ولا عدوان، ولا تمرّد على حكم الله ولا عصيان.

المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاتة، القاهرة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٣- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الحسين بن محمد الدامغاني ، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل ، بيروت، ١٩٧٠م.

٤- الحب عند العرب ، الدكتور عادل كامل الآلوسي ، بيروت، ١٩٩٩م.

٥- الحب في القرآن ، الدكتور محمود بن الشريف ، طبعة بغداد بدون تأريخ.

٦- صُبابة المعاني وصبّابة المعاني ، أبو بكر محيي الدين السلطي ، تحقيق الدكتورة فاطمة بنت محمد السويدي ، الرياض، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

٧- طوق الحمامة في الأُلفة والآلاف، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، ضمن الجزء الأول من (رسائل ابن حزم الأندلسي) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٨- فقه اللغة وسر العربية ، عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٩- القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروزابادي.

١٠- كتاب الزهرة ، أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني، النصف الأول اعتنى بنشره الدكتور لويس نيكل البوهيمي بمساعدة إبراهيم طوقان ، بيروت ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١١- لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم.

١٢- مشكلة الحب ، الدكتور زكريا إبراهيم ، القاهرة (مكتبة مصر).

١٣- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.